الكاهنة الزناتية ودورها في المقاومة في بلاد المغرب العربي

م.م. عباس كريم عبد

جامعة بابل/كلية التربية الأساسية/قسم التاريخ

المقدمة

تعد الكاهنة الزناتية ملكة جبال أوراس شخصية من الشخصيات النسائية البارزة في بلاد المغرب العربي، وبطلة من أبطال المقاومة الأمازيغية الذين حاربوا الروم البيزنطيين وواجهوا الولاة والقادة المسلمين الفاتحين لبلاد المغرب مقاومة شديدة قل نظيرها دفاعاً عن أرضها وشعبها، لكنها أساءت إلى فعلها البطولي النبيل وتسامحها الإنساني العظيم مع أسرى المسلمين، حينما أقدمت على ما يعرف اليوم بسياسة الأرض المحرقة لطرد العرب خارج بلاد المغرب هذه السياسة التي لم تثمر إلا الويل والثبور وجرت عليها الموت والهلاك.

من هنا جاء اختيار الباحث لشخصية الكاهنة لتكون هدفاً للدراسة وتسليط الضوء على هذه الشخصية، وقد تم التطرق في هذا البحث إلى حياة الكاهنة لمعرفة من هي الكاهنة الزناتية (اسمها – لقبها – نسبها). كما تم التطرق إلى دور الكاهنة في المقاومة المحلية، فضلاً عن طبيعة الصراع الذي شهده بلاد المغرب بين الكاهنة وحسّان بن النعمان الغساني، حيث قسم هذا الصراع إلى مرحلتين أساسيتين، وهما:

الأولى: مرحلة الانتصار: انتصار الكاهنة على حسّان.

الثانية: مرحلة الهزيمة: هزيمة الكاهنة أمام حسّان.

اعتمد البحث على جملة من المصادر تنوعت بين الأصيلة منها والحديثة، وكان بعضها ذا فائدة كبيرة لا غنى عنها ولبعضها الآخر فائدة ثانوية ومكملة لما تتطلبه مقتضيات البحث، ومن بين هذه المصادر كتاب ((فتوح أفريقية والأندلس)) لمؤلفه ابن عبد الحكم، وكتاب ((البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)) لمؤلفه ابن عذارى المراكشي، وكتاب ((العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، فضلاً عن غيرها الكثير من المصادر الأولية والمراجع الحديثة، ويأمل الباحث أنه وفق في تسليط الضوء على هذه الشخصية النسائية المهمة وإبراز دورها في المقاومة المحلية في بلاد المغرب العربي.

أولاً: اسمها ولقبها ونسبها:

تعرف الكاهنة باسم [دميا] أو [دهيا] أو [دهي] بمعنى المرأة الجميلة في القاموس اللغوي الأمازيغي، ولقبت بالكاهنة لكونها تميزت بدهاء خارق وقسوة وشراسة قل نظيرها في مقاومة الفاتح العربي المسلم [حسّان بن النعمان الغساني] الوالي الجديد على بلاد المغرب حوالي سنة ٧٢هج/ ٦٩٣م، كما تفوقت في هذه المقاومة حتى على الملك الأمازيغي السابق أكسيل أوأكسيلا. وتعرف الكاهنة بأنها امرأة جميلة وشجاعة وقوية البنية، وهي من بني جروة من القبائل البربرية البترية الكبيرة التي انتقلت من الحياة الوبرية الرعوية إلى الحياة القائمة على الاستقرار والتمدن وبناء الممالك، وكانت الكاهنة تسكن جبال [باغاية] قرب مسكيانة بسفوح جبال الأوراس الشامخة في الجزائر[١].

كما تعرف الكاهنة الزناتية بملكة البربر[٢] وكان جميع الأمازيغيين يخافون من [دليهيا] أو الكاهنة ويطيعونها بسبب جرأتها وشجاعتها الكبيرة والدليل على ذلك عندما سأل القائد حسّان بن النعمان الغساني جماعة من مسلمي البربر عنها

فذكروا أن جميع من بأفريقية خائفون منها وجميع البربر مطيعون لها، فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك معاد ولا معاند[٣].

وهذا يعني أن الكاهنة كانت في حكمها امرأة مستبدة ومتجبرة وتحكم البلاد بيد من حديد، كما كانت قائدة محنكة تحسن التخطيط الحربي وتستعد جيداً للمعارك التي تخوضها ضد الفاتحين العرب المسلمين، كما كانت تتصف بالذكاء والشجاعة والصلابة والقوة والحنكة والدهاء وادعاء الغيب وممارسة السحر والكهانة مع حسن القيادة والإشراف[٤].

ويصف ابن خلدون[٥] حين يتحدث عن نسب الكاهنة قائلاً: ((وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعاً وبطوناً، وكان موطن جراوة منهم جبل أوراس، وكانت رياستهم للكاهنة [دهيا بن تابنة بن نفيان بن باورا بن مصكري بن أفرد بن وصيلا بن جراو] وكان للكاهنة أبناء ثلاثة ورثوا رئاسة قومهم عن سلفهم وتربوا في حجرها، فاستبدت عليهم وعلى قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب وعواقب أمورهم فانتهت إليها رئاستهم)).

ويضيف ابن خلدون[٦] إن الكاهنة امرأة قوية حكمت إحدى الممالك الأمازيغية في الجزائر قبل الفتح الإسلامي وقد ولدت وعاشت في جبال الأوراس بالجزائر، وكانت مدة حكمها خمس وثلاثين سنة وعاشت مئة وسبع وعشرين سنة قبل أن تقتل على يد القائد الإسلامي حسّان بن النعمان الغساني عام ٧٤هج.

كما كان للكاهنة مكانة كبيرة بين أهلها يحترمونها تعظيماً إلى درجة التمجيد والتقديس، وفي هذا يقول الثعالبي[٧]: ((إنها امرأة نادرة رفعها سكان المنطقة إلى منازل الآلهة البشرية التي عبدها الناس)).

والحقيقة أن الكاهنة لقب أطلق على [دهيا بن تيفان] نظراً لخبرتها بالسحر وفراستها بالتنبؤ وما يقع من الأحداث، وهذا ما عرف به الكهان قديماً وهو ما كان شائعاً بين البربر في جاهليتهم ويبدو أيضاً أن هذا اللقب ومن ناحية أخرى أطلق عليها لاتصافها بالدهاء وهو الصفة الأساسية عند السحرة، أما ما يقال من أن الكاهنة كانت يهودية وأن اسمها [ديبورا] وهو اسم يهودي، فهذا ما لم تشر إليه النصوص وما لم يثبت له دليل رغم ما هو معروف من أن الأفكار اليهودية عرفت بالمغرب منذ العهد القديم، فعلى العكس من ذلك تقول بعض الروايات أنه كان مع الكاهنة صنم عظيم من الخشب كانت تعبده بمعنى أنها كانت وثنية[٩].

والكاهنة وكما هو معروف من قبيلة جراوة وهذه القبيلة من مجموعة قبائل البتر التي سكنت جبال أوراس حيث استطاعت الكاهنة من جمع قبائل أوراس حولها، ولا يعرف إن كانت الكاهنة قد استمدت قوتها من البربر فقط أو من علاقة كانت بينها وبين الروم أيضاً فهناك من يقول إن من بين أولادها ابن يوناني وهذا مما يحتمل معه أن يكون الروم قد أعانوها على تثبيت مركزها حتى أن بعضهم ربط مصيره بمصيرها[١٠].

ثانياً: دور الكاهنة في المقاومة

استغرق الفتح العربي لبلاد المغرب مدة طويلة تكاد تصل إلى سبعين عاماً (٢٠هج-٩٠هج)/(٦٤١م-٧١١م) على عكس الفتح العربي الإسلامي في المشرق الذي قد تم بسرعة ملحوظة حيث أخضع المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مجموعة من البلدان كالشام ومصر والعراق، ويرجع استغراق الفتح العربي لبلاد المغرب لهذه المدة الطويلة إلى صعوبة البلاد طبيعياً حيث أن بلاد المغرب جبلية وعرة وكانت عاملاً مهماً في عملية إبطاء أو تأخير عملية الفتح، بالإضافة إلى اشتداد حركة المقاومة البربرية للعرب المسلمين فضلاً عن تدخل بعض العناصر الأجنبية في مقاتلة العرب

الفاتحين كالروم مثلاً، وهكذا ظلت بلاد المغرب منطقة عسيرة وصعبة الإخضاع لمدة تتراوح بين (٢٠-٩٠هج) أي مدة زمنية تقدر بـ(٧٠) عاماً[١١].

لقد واجهت الكاهنة المسلمين الفاتحين مواجهة قوية دفاعاً عن الهوية الأمازيغية معتقدة في ذلك أن المسلمين مثل الرومان والوندال والبيزنطيين لا يهمهم سوى احتلال أراضي الغير واستغلال ثرواته وممتلكاته، لذلك كان لمقاومتها العنيفة في نوميديا بالجزائر أثراً كبيراً على التواجد العربي الإسلامي في شمال أفريقية وقد حكمت الكاهنة مملكتها بعد مقتل القائد أكسيل أوأكسيلا على يد القائد العربي المسلم حسّان بن النعمان الغساني في معركة ممس قرب مدينة القيروان ثأراً لمقتل القائد عقبة بن نافع الفهري على يد أكسيلا قرب نهر الزاب بالجزائر[١٢].

ثالثاً: الصراع بين حسّان والكاهنة في بلاد المغرب

تعد معارك حسّان بن النعمان الغساني مع الكاهنة الزناتية من أعظم المعارك التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية في بلاد المغرب، وعلى هزيمتها كان يعول المسلمون أحلامهم في تحرير بلاد المغرب، وما يؤكد هذا القول إن حسّان بن النعمان عندما سأل أهل القيروان عمّن يكون قد بقي من ملوك أفريقية ممن لهم قيمته في ميزان الأحداث، فأشار أهل القيروان إلى امرأة كانت تسكن منطقة جبال أوراس ويخافها الروم في أفريقية ويخشونها ويذعن لسلطانها جميع البربر[١٣] (فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبقَ لك مضاد ولا معاند)[١٤].

ويمكننا تقسيم الصراع بين حسّان والكاهنة في شمال أفريقية إلى مرحلتين أساسيتين وهما:-

أ- مرحلة الانتصار [انتصار الكاهنة على حسّان]

ب- مرحلة الهزيمة [هزيمة الكاهنة أمام حسّان]

أ- مرحلة الانتصار:-

بعد مقتل زعيم البربر (كسيلة) على يد القائد حسّان بن النعمان، اتجه هذا القائد العربي نحو ممالك الجزائر والمغرب لنشر الإسلام بين ساكنيها عام ٧٤هج/ ٦٩٣م، وكان جيش حسّان يقدر بأربعين ألف مقاتل بعد أن انضم إليه عدد كبير من العرب والبربر والمتطوعة، وقيل أنه لم يدخل المغرب جيشاً بحجم هذا الجيش من قبل عدداً وعدة[١٥].

اختلفت مهمات حسّان بن النعمان الغساني عن مهمات من سبقه من القادة في شمال أفريقية فقد أسند له الخليفة عبد الملك بن مروان مهمة تحرير بلاد المغرب نهائياً حيث أمره بالتوجه إلى مصر والعمل على تجميع قواته وتنظيمها هناك وقد أطلق يده في أموال مصر لشراء العدة الحربية وتغطية نفقات الجيش وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم وبذل الأموال على الناس لكسبهم إلى جانبه وترغيبهم في القتال، وهذا يعني أن الخليفة عبد الملك قد أعطى حسّان صلاحيات كبيرة جداً إلى الحد الذي أوقع بعض المؤرخين في خطأ التصور بأن الخليفة عبد الملك قد ولّى حسّان على شؤون مصر فضلاً عن أفريقية[١٦].

وكانت خطة حسّان العسكرية تهدف إلى تحقيق مهمتين أساسيتين:

الأولى: القضاء على قوة الروم البيزنطيين وضرب معاقلهم المهمة.

الثانية: تطويق البربر الذين تجمعوا تحت قيادة الكاهنة ملكة جبال أوراس.

كما اعتمد حسّان في إستراتيجيته العسكرية على خطط قتال جديدة في مواجهة أعدائه من الروم وحلفائهم حيث قرر أن يقاتلهم منفردين لا مجتمعين ليسهل القضاء عليهم الواحد بعد الآخر قبل أن يتكتلوا ضده لذلك قرر حسّان أن يتخلص من الروم أولاً ثم يتوجه بعد ذلك لعناصر المقاومة البربرية بقيادة الكاهنة الزناتية(١٧).

وكانت قرطاجة هدف حسّان الأول لكونها قاعدة الروم وأعظم مدن أفريقية البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط حيث توجه لها حسّان بكل قواته وحاصرها وعلى الرغم مما أبداه المحاصرون من مقاومة فقد استسلموا وطلبوا الأمان والرغبة في إيقاف القتال فاستجاب حسّان لطلبهم وأخلوا المدينة فدخل حسّان المدينة ثم توجه بعد ذلك نحو مدينة ينزرت على مقربة من قرطاجة فأنزلوا بالروم هزيمة ساحقة، ولجأ المنهزمون إلى مدينة (باجة) فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة (بونة) ثم عاد حسّان إلى القيروان(١٨).

وما كاد حسّان يفرغ من الروم حتى واجهته مشكلة البربر البتر الذين اجتمعوا حول الكاهنة الزناتية، والتي استطاعت من إحياء المقاومة المحلية التي كان العرب المسلمون يعتقدون بأنها أخمدت نهائياً بعد معركة سهل ممس وتحرير قرطاجة وتشريد الروم وحلفائهم من البرانس، فقد جاءت هذه الأحداث لتؤكد خطأ اعتقادهم إذ أن الأحداث لم تنتهِ بعد بالنسبة للبربر البتر وبالنسبة للروم الذين ظلوا يراقبون الأحداث من بعيد فكلما بانت لهم ثغرة دخلوا منها(١٩).

لقد نجحت الكاهنة في تحقيق التفاف واسع حولها من البربر الأوراس ومن بقايا البيزنطيين وما يؤكد هذا هو احتلالها لمدينة باغاية الساحلية وهي آخر المعاقل المهمة التي احتفظ بها البيزنطيون ثم أخذت الكاهنة تتحدى المسلمين، ولم يستطع حسّان بن النعمان الذي سارع إلى اعتراض تقدمها في وادي (مسكيانة) من الوقوف في وجه الحشود الضخمة التي تكتلت ورائها(٢٠).

وكان أول لقاء بين حسّان والكاهنة عند نهر سمي بنهر البلاء حيث حدثت معركة طاحنة وانتهت بهزيمة حسّان ومقتل عدد كبير من جنده، كما أسرت الكاهنة حوالي ثمانين رجلاً، أطلقت الكاهنة سراحهم جميعاً باستثناء خالد بن يزيد الذي اتخذته ولداً بعد أن أرضعته من ثديها، وفي هذا التبني يقول ابن عذارى المراكشي(٢١): ((وحبست عندها خالد بن يزيد فقالت له يوماً: ما رأيتُ في الرجال أجمل منك ولا أشجع، وأنا أريد أن أرضعك فتكون أخاً لولدي، وكان لها ابنان أحدهما بربري، والآخر يوناني، وقالت له: نحن جماعة البربر لنا رضاع، إذا فعلناه نتوارث به، فعمدت إلى دقيق الشعير خللته بزيت وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثديي، ففعلا فقالت: قد صرتم إخوة)).

أما ابن عبد الحكم(٢٢) فكانت أكثر وضوحاً لمبتغى الكاهنة من هذا التبني حيث يقول: ((فقالت: يا بني انظروا ماذا ترون في السماء، قالوا: نرى شيئاً من السحاب أحمر. قالت: لا وإلهي، ولكنها رهج خيل العرب، ثم قالت لخالد بن يزيد: إني تبنيتك لمثل هذا اليوم)).

ويبدو أن الكاهنة كانت تسعى من وراء هذا التبني إلى اتقاء المحاولات الانتقامية من قبل حسّان بن النعمان وتجنب ردود فعل المسلمين أو ربما تريد أن تعرف نوايا المسلمين الفاتحين وتعرف خطط قوادهم وكيف يفكرون، وربما قربته إليها ليفشي لها أسرار الخطط الهجومية التي يمكن أن يلتجئ إليها حسّان بن النعمان في المستقبل لذلك قررت الكاهنة أن تستعين بخالد بن يزيد لمثل هذا اليوم لتستأمنه على أولادها مما يمكن أن يصدر عن حسّان من ردود فعل انتقامية، أو ربما لجأت الكاهنة إلى هذا التبني لأن هذا النوع من الطقوس يجعل صاحبه في مستوى أهل الدار حقاً وواجباً، لأن هذا الرضاع

وكما جاء على لسان الكاهنة (إذا فعلناه نتوارث به) ومعنى ذلك أن خالد بن يزيد في حالة موت الكاهنة وابنيها يصبح ملكاً على الأمازيغ(٢٣).

كما يبدو أن الإحسان إلى الأسرى من قبل الكاهنة، كان من تقاليد البربر العريقة حيث أنهم عملوا على الإحسان إلى الأسرى في معاركهم السابقة فكيف لا تحسن إليهم الكاهنة بعد معركة (نهر البلاء) وقد يكون لتقرب خالد بن يزيد من الكاهنة أثراً كبيراً على إحسانها هذا ضمن المحتمل جداً أن خالد بن يزيد قد بذل جهوده لإنقاذ إخوانه الأسرى بعد أن أصبح أسيراً عند الكاهنة(٢٤).

وكان سوء تقدير حسّان بن النعمان الغساني لقوة البربر تقديراً كافياً من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هزيمته أمام الكاهنة في موقعة (نهر البلاء) مما اضطر بعدها حسّان بن النعمان للتراجع إلى بدقة حيث بقي فيها أربع سنوات ينتظر الإمدادات التي وعد بها الخليفة عبد الملك بن مروان، كما أقام هناك قصوراً سميت باسم قصور حسّان(٢٥).

لقد كان لسياسة الأرض المحروقة التي اتبعتها الكاهنة تطورات سلبية تمخضت عنها فقد تخلى عنها الكثير من أنصارها من الروم والبربر والأفارقة وذهبوا إلى حسّان بن النعمان لينصرونه عليها، حيث كملت الكاهنة من القضاء على مظاهر العمران بأفريقية فوجهت قومها إلى كل ناحية من بلاد أفريقية والمغرب ينسفون المزارع ويهدمون الحصون وبعد أن كانت أفريقية ظلاً واحداً من طرابلس إلى طنجة قرى متصلة ومدناً منتظمة تلاشى ذلك كله وشمل الخراب سائر هذه البلاد(٢٦).

ب- مرحلة الهزيمة: هزيمة الكاهنة أمام حسّان

لقد ظل خالد بن يزيد يراقب كل التطورات التي كانت تجري داخل معسكر الكاهنة وهي كما مر سابقاً تطورات سلبية نتيجة لسياسة الكاهنة حيث ازداد سخط الروم عليها مع ازدياد تخريبها للمزارع وهدم الحصون وما لقيه اليهود على يديها مما جعل خالد بن يزيد يقول لحسّان: (إن البربر متفرقون لا رأي لهم، ولا نظام عندهم، فاطوِ المراحل، وجد في السير)، وربما أن الكاهنة كانت تعلم أن أسرار دولتها كانت تصل إلى حسّان عن طريق من يستقبلهم خالد بن يزيد من الوافدين، لكن عدم مساءلتها له ولضيوفه لا يمكن فهمها إلا في إطار احترامها لعقد أمومتها لخالد ورباط أخوّة ابنيها له(٢٦).

أرسل حسّان بن النعمان رسولاً منه سراً إلى خالد بن يزيد عندما كان عند الكاهنة يريد أن يستعلم منه الأمور، فكتب إليه خالد بن يزيد جوابه يعرّفه بتفرق البربر وتذمرهم من سياسة الكاهنة إلى الحد الذي دعاهم إلى مطالبة العرب بالرجوع إلى البلاد وأبدوا استعدادهم لمساعدتهم في حربهم القادمة ضد الكاهنة، كما لجأ الكثير من أهل البلاد من الروم خاصة وأتباعهم من الأفارقة وتركوا البلاد فراراً من الكاهنة ورحلوا في المراكب إلى صقلية وجزائر البحر وكذلك إلى الأندلس، وكان حسّان على علم بما يدور في معسكر الكاهنة إما عن طريق العرب المقيمين بأفريقية أو عن طريق السرايا التي كان يبعث بها إلى هناك، كما أنه وكما مر سابقاً كان يراسل خالد بن يزيد، وكان هذا الأخير يكتب إليه بأخبار الكاهنة(٢٧).

وقد سارت الأمور هذه المرة في صالح العرب تماماً حتى أن الكاهنة نفسها شعرت بخطئها في مجابهة العرب ويحتمل أنها أدركت غرضهم النبيل في تحرير البلاد من سيطرة البيزنطيين، لكنها لم تتمكن من التراجع عن موقفها بسبب العادات البربرية ورفضها الاستسلام(٢٨).

وبعث الخليفة عبد الملك بن مروان إلى حسّان الإمدادات من الجنود والأموال وبعد أن أكمل حسّان استعداداته للقتال وتهيئة جيشه مادياً ومعنوياً أمره الخليفة عبد الملك بالتوجه إلى أفريقية وقتال الكاهنة حيث كانت قوات حسّان بن النعمان تتضخم وتتزايد عدداً بمن انضم إليها من أهل البلاد بينما كان جيش الكاهنة ينقص شيئاً فشيئاً بسبب تخلي أتباعها عنها، ثم زحف حسّان بقواته لمقاتلة الكاهنة سنة ٨١هج، وبلغ الكاهنة أمر حسّان، فرحلت من جبال أوراس مع أتباعها، فلما كان الليل قالت لابنيها: (إني مقتولة) وأعلمتهم أنها قد رأت رأسها مقطوعاً وموضوعاً بين يدي حسّان، فقال لها خالد وولداها: فإذا كان الأمر كذلك فاتركي البلد لحسّان وارجعي بنا، فقالت كيف أفر وأنا ملكة، والملوك لا تفر فأقلد قومي عاراً إلى آخر الدهر(٢٩).

ولكن الكاهنة وبعد أن أطاحت بها جيوش المسلمين وعلمت أنها مقتولة لا محالة طلبت من خالد بن يزيد أن يطلب الأمان لابنيها من حسّان بن النعمان، وقالت له (إنما تبنيتك لمثل هذا اليوم) وأمرت الكاهنة ولديها وخالد أن يذهبوا إلى حسّان ليلاً، فأخذ الأمان لولديها من حسّان(٣٠).

أما الكاهنة فقررت أن تحارب حتى الموت، وأخذت الكاهنة تتراجع موغلة في جبال أوراس، وأخذ حسّان يطاردها حتى التقى بجيشها سنة ٨٢هج/ ٧٠١م عند موضع يعرف (بئر الكاهنة)وكان القتال شرساً حتى كثر القتل فظن الناس أنه الفناء، وانتهت المعركة بانهزام البربر ومقتل الكاهنة وبذلك قضى حسّان على كل أثر للمقاومة في بلاد المغرب واستقامت بلاد أفريقية لحسّان(٣١).

النتائج

يمكننا وفي ضوء ما تقدم من البحث أن نستخلص ما يأتي:

١- تعرف الكاهنة في المصادر التاريخية باسم [دميا] أو [دهيا] أو [دهي] والتي تعني المرأة الجميلة في القاموس اللغوي الأمازيغي.

٢- لقبت بالكاهنة لكونها تميزت بدهاء خارق وقسوة وشراسة في مقاومة العرب المسلمين.

٣- كانت الكاهنة تسكن جبال [باغاية] قرب مسكيانة بسفوح جبال الأوراس الشامخة بالجزائر.

٤- عرفت الكاهنة بـ [ملكة البربر] وكان جميع البربر يخافون منها ويطيعونها بسبب جرأتها وشجاعتها الكبيرة.

٥- كانت الكاهنة تتصف بالذكاء والشجاعة والصلابة والقوة والحنكة وادعاء الغيب وممارسة السحر والكهانة مع حسن القيادة والإشراف.

٦- كان للكاهنة مكانة كبيرة بين أهلها يحترمونها تعظيماً إلى درجة التمجيد والتقديس وفي هذا يقول الثعالبي: ((إنها امرأة نادرة رفعها سكان المنطقة إلى منازل الآلهة البشرية التي عبدها الناس)).

٧- واجهت الكاهنة المسلمين الفاتحين مواجهة قوية دفاعاً عن الهوية الأمازيغية معتقدة بأن المسلمين لا يهمهم سوى احتلال أراضي الغير واستغلال ثرواته وممتلكاته.

٨- لقد حكمت الكاهنة مملكتها بعد مقتل القائد [أكسيلا] على يد القائد المسلم حسّان بن النعمان في معركة ممس.

٩- تعد المعارك التي خاضتها الكاهنة مع حسّان بن النعمان الغساني من أعظم المعارك التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية في بلاد المغرب.

١٠- استطاعت الكاهنة من إحياء المقاومة المحلية التي كان العرب المسلمين يعتقدون بأنها أخمدت نهائياً بعد معركة سهل ممس.

١١- كان أول لقاء بين الكاهنة الزناتية وحسّان بن النعمان الغساني عند نهر سمي بـ [نهر البلاء] حيث حدثت معركة طاحنة وانتهت بانتصار الكاهنة ومقتل عدد كبير من جند حسّان كما أسرت الكاهنة حوالي ثمانين رجلاً أطلقت سراحهم جميعاً باستثناء خالد بن يزيد الذي اتخذته ولداً لها بعد أن أرضعته من ثديها.

١٢- تميزت الكاهنة بالإحسان إلى الأسرى والذي كان من تقاليد البربر العريقة خاصة بعد معركة نهر البلاء.

١٣- كان لإتباع الكاهنة ما يعرف اليوم بسياسة الأرض المحروقة بقضائها على مظاهر العمران في بلاد المغرب من نسف المزارع وهدم الحصون واقتلاع الأشجار تطورات سلبية كثيرة على الكاهنة ومنها تخلى عنها الكثير من أنصارها من الروم والبربر والأفارقة فكان بداية النهاية للكاهنة.

١٤- قتلت الكاهنة سنة ٨٢هج/ ٧٠١م في موضع يعرف بـ (بئر الكاهنة) على يد حسّان بن النعمان الغساني.

الهوامش والمصادر:

١- فروخ: عمر، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب والأندلس إلى آخر عهد الولاة، بيروت، ١٩٥٩، ص ص٦٩-٧٠.

٢- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن القرشي، فتوح أفريقية والأندلس، بيروت، ١٩٦٤، ص٦٣؛ البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٢، ص٣٢.

٣- المالكي: أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١، ص١٠.

٤- كفتوري: عائشة، رموز المقاومة بشمال أفريقية والمقاومة المغربية عبر التأريخ، منشورات المعهد الملكي للثقافة، الرباط، ص١٥٥.

٥- عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ج٧، ص١١.

٦- ابن خلدون: المصدر نفسه، ص١٣.

٧- الثعالبي: تأريخ شمال أفريقية، تونس، ١٩٨٧، ص٧٧.

٨- الثعالبي: المصدر نفسه، ص٨١.

٩- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٦٩.

١٠- العامري: محمد الهادي، تأريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، تونس، ١٩٧١، ص٩٥.

١١- سالم: عبد العزيز، تأريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢، ص٢٥.

١٢- الصلابي: علي محمد، صفحات مشرقة في التأريخ الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣٨١.

١٣- العتبي: محمد سعيد رضا علو، تأريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص٨٦.

١٤- ابن عذارى المراكشي: أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، ١٩٥٠، ج١، ص٢٥.

١٥- السامرائي: خليل إبراهيم وآخرون، تأريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤، ص ص٩٩-١٠٠.

١٦- العتبي: المصدر السابق، ص٨٣ .

١٧- العتبي: المصدر السابق، ص٨٧ .

١٨- ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، الكامل في التأريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص١٣٥.

١٩- العتبي: المصدر السابق، ص٨٥ .

٢٠- طقوش: محمد سهيل، تأريخ الدولة الأموية، ط٥، دار النفائس، ٢٠٠٦، ص٩٥.

٢١- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص٣٥-٣٦.

٢٢- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٦٤.

٢٣- الغرايب: محمد، الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية، الرباط، ٢٠٠٥، ص١٧٣ .

٢٤- الصلابي: المصدر السابق، ص ٣٨٧ .

٢٥- عبد العزيز سالم: المصدر السابق، ص ٤٤ .

٢٦- الغرايب: المصدر السابق، ص ١٧٣ .

٢٧- طه: عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، ص١٣٣.

٢٨- عبد الواحد ذنون: دراسات في تأريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤، ص٥٠.

٢٩- شاكر: محمود، موسوعة أعلام وقادة الفتح الإسلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ص٣٥.

٣٠- محمود شاكر: المصدر نفسه، ص ٣٦ .

٣١- الزكلي: خير الدين، الأعلام، ط٥، بيروت، ١٩٨٠، ج٢، ص٣٧١.